مَجَلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
لِلعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – تشرين الأول – 2024 / November

الرَّبطُ وأثرُه الدِّلالي في شعرِ أبي إسحاق الإلبيريّ
دراسة لغوية

م. م. إيمان محمد خلف مرهاش النمراوي[1]، أ.د. سليمان شهيد معوض [2]
[1] المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار– العراق
[2] تدريسي في جامعة الجنان طرابلس ـ لبنان

menaharon567@gmail.com
dr.sleimanmouawad@hotmail.com

ملخص. للربط اللغويّ أهمية كبيرة في اللغة العربية, إذ يعمل على تماسك النصوص اللغوية شعرية كانت أم نثرية وسبكها وحفظها من التفلّت. وله الفضل في تشكيل العلاقات بين عناصر النص, مما يجعل الأفكار واضحة والمعاني بارزة ومفهومة لدى المتلقّي. يتّضح موضوع الربط في شعر أبي إسحاق الإلبيري في جوانب عدّة, وأدوات متنوعة, عمل الشاعر فيها جهده لإبراز المعاني والأفكار التي تدور في خلده وجعلها في متناول أفهام المتلقّين. استعمل الشاعر أدوات مختلفة من الروابط اللغوية تمثّلت في أحرف العطف, والضمائر, وأسماء الإشارة, وغيرها من الأدوات, مما يحقّق التماسك النصّيّ ويعزّز فهم المعاني وتفاعل المتلقّي مع النصّ. وللربط اللغويّ الأثر الكبير في فهم النصوص من خلال إنشاء علاقات واضحة بين الجمل والعبارات وتعزيزها لفهم السياق العام للنصوص وفهم المعاني المقصودة والدلالات الجديدة.

الكلمات المفتاحية: الربط اللغوي– الإلبيريّ– أبو إسحاق– التماسك النصّيّ– أحرف العطف.

Abstract. Linguistic linking is of great importance in the Arabic language, as it works to cohese linguistic texts, whether poetic or

prose, and to cast them and protect them from slipping. It is credited with forming relationships between the elements of the text, which makes ideas clear and meanings prominent and understandable to the recipient. The subject of linking is evident in Abu Ishaq al-Ilbiri's poetry in several aspects and various tools, in which the poet worked hard to highlight the meanings and ideas that revolve in his mind and make them accessible to the recipients' understanding. The poet used various tools of linguistic links represented by conjunctions, pronouns, demonstrative pronouns, and other tools, which achieve textual cohesion and enhance the understanding of meanings and the recipient's interaction with the text. Linguistic linking has a great impact on understanding texts by creating clear relationships between sentences and phrases and enhancing them to understand the general context of the texts and understand the intended meanings and new connotations.

Keywords: Linguistic linking - al-Ilbiri - Abu Ishaq - textual cohesion - conjunctions.

مُقدمةٌ

يَأتي الربطُ اللغويُّ على رَأسِ قائمةِ اهتماماتِ الدرسِ اللسانيّ الحديثِ لِمَا يُناطُ بِه مِن مَهامَّ أصيلةٍ في عمليّةِ التأطيرِ لعلاقاتِ أجزاءِ النصّ ببعضِها، وَردّ بعضِ عناصرِ الخطابِ مِن التّراكيبِ وَالأساليبِ المُستعملةِ فيهِ عَلى بعضِهَا، فتتكونُ لدينَا مِن خلالِهِ تلكَ الصِّلةُ الوثيقةُ التي تُهيئُ للنصّ مناخًا ملائمًا لقراءتِه وفهمِ مغازيه وتحريرِ مفاهيمِه المرجوّةِ منهُ.

وتَقومُ عمليّةُ الربطِ بينَ عناصرِ الخطابِ الّتي تُشكِّلُها التراكيبُ النحويّةُ على عددٍ مِن الظّواهرِ اللغويّةِ والتركيبيّةِ يُمثِّلُها في النصِ الرّبطُ بأحرفِ العطفِ، وبالضّمائرِ، حرفِ الاستدراكِ لكنَّ، وحروفُ الاستئنافِ، وبعضِ الأسماءِ كالموصولاتِ وأسماءِ الإشارةِ، وما إلَى ذلكَ مِمّا يُؤدّي في الإحالةِ بِهِ علَى سابقٍ أو لاحقٍ مُؤَدَّاه في الرّبطِ اللغويّ والدلاليّ في آنٍ معًا.

والغايةُ مِن إعمالِ بعضِ الأدواتِ والوسائطِ اللُّغويّةِ في هذا الصّددِ معلومةٌ لا تَخفَى، فليسَ ثَمَّةَ من طريقٍ آخرَ في اللُّغةِ يُؤدّي إلَى مزجِ عناصرِ الخِطابِ النصيَّةِ بَعضِهَا مَعَ بعضٍ، وَإجمالِها في نسيجٍ واحدٍ مَسبوكٍ الصّنعةِ محبوكِ البَناءِ سِوَى هذه الأدواتِ، إذ لولاها لصَارَ الخِطابِ في النصّ أشلاءً

يسيرُ كلُّ تركيبٍ مِن تراكيبِه المُكوِّنةِ لهُ في طريقٍ، ويؤدِّي وظيفتَهُ مُستقلَّةً عن وظيفةِ غيرِهِ مِن التّراكيبِ الأخرَى.

وإنَّ بينَ السّبكِ والحَبكِ النصيّ الذي هو مِن لوازمِ استقامةِ الخِطابِ وضَروراتِ إحكامِ نَسجِهِ، وبينَ التّشظيّ الذي قد يَنتجُ عن ضَعفِ الكَاتبِ في تَوظيفِ الروابطِ فرقًا بيّنًا، ولأنَّ الرّبطَ وسيلةٌ أساسيَّةٌ تحمِلُنا مِن النّظرِ القاصرِ إلى الجُملَةِ لِتقلنَا إلى تَسليطِ الضّوءِ عَلَى عمومِ النّصِّ، بدَت المَساعِي اللسانيّةُ تَأخذُ سبيلَها نحوَ العنايةِ بِهِ.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:-

1- تتأتى أهمية الربط ودلالته من تتبع المعايير النصية اللغوية التي عبَّر عليها علماء اللغة النصي.

2- البحث عن الدلالات النصية من خلال وسائل الربط المعروفة، وكيفية التعامل معها في بناء النص اللغوي؛ بغية الوصول إلى رؤية موضوعية في التعامل مع النص الشعري؛ حيثُ كثافة طاقة بعض النصوص الشعرية لهذه المدونة دعتني إلى توظيفها في أكثر من تقنية خلال أدوات الربط المختلفة.

وقد اقتضت طبيعةُ الموضوعِ أنْ تُقَسّمَ الدراسةَ إلى مقدّمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة مباحثَ، متبوعةً بالخاتمةِ، وثبت المصادر والمراجع.

أولا: التمهيد : التعريف بالشاعر : اسمه ونسبه

المَبْحَثُ الأوَّل: الرَّبطُ الإضافيُّ في شِعْرِه

المَبْحَثُ الثَّاني: الرَّبطُ العكسيُّ .

المَبْحَثُ الثَّالثُ الرَّبطُ السَّببيُّ.

المَبْحَثُ الرَّابعُ الرَّبطُ الزَّمنيُّ.

الدراسات السابقة :-

هناك دراسات سابقة تناولت ديوان أبي إسحاق الإلبيري وشعره، لكن تلك الدراسات بعيدة كل البعد عن موضوع بحثي المنوط بـ" الرَّبطُ وأثرُه الدِّلالي في شعرِ أبي إسحاق الإلبيريّ دراسة لغوية" ومن أمثلة تلك الدراسات:

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتماعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

1) أبو إسحاق الإلبيري حياته وشعره، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث: ميرغني الطاهر أحمد الفكي، نوقشت في جامعة أم درمان الإسلامية، 2007م.

2) التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الإلبيري دراسة موازنة، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث/ محمود لطفي نايف عبد الله، ونوقشت في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009 م، وهذه الدراسة لا تمس علم اللغة النص، ولا تفي بما تصبو إليه الدراسة الرَّاهنة، فهي دراسةٌ أدبيَّة.

3) ظواهر التركيب في ديوان أبي أسحاق الإلبيري الأندلسي، دراسة نحوية دلالية، رسالة ماجستير (مخطوط)، إعداد الباحث/ مروان أكرم أحمد، نوقشت في كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2014م.

منهج البحث:

وقد سلك هذا البحث في سياقه المنهج الوصفي التحليلي؛ حيثُ توصف من خلالها الظاهرة النصية، ثم تحليلها في مختلف العلاقات الداخلية في مستويات الربط المختلفة، وشرح المظاهر المتعددة لأشكال الربط باستخدام اللغة وبيان التأثيرات التي تحدثها النصوص في المتلقين؛ لتحقيق التماسك النصي فيه، والتعامل مع النص الأدبي بوصفه نصًا متماسكا، حتى بانَ نص أبي إسحاق الإلبيري شبكة متناسقة، متمازجة، مؤدية بذلك الوظيفة الاتصالية بأحسن ما يكون، ومحققة المقبولية لدى المتلقي.

التمهيد: التعريف بالشاعر

اسمه ونسبه:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي(ابن الأبار,1995م,118/1-119)، نُسب إلى إلبيرة (إلبيرة: من كور الأندلس، جليلة القدر، نزلها جندٌ من دمشق من العرب وكثير من موالي الإمام عبدالرحمن بن معاوية، وهو الذي أسسها وأسكنها مواليه، ثم خالطهم العرب بعد ذلك. وكانت إلبيرة من قواعد الأندلس الجليلة والأمصار النبيلة، فخربت في الفتنة، ينظر: (الحميري،1975م, ص 28_29. والحموي,1993م, 244/1)، فقيل له: أبو إسحاق الإلبيري، ونُسب إلى غرناطةَ(غرناطة: مدينة في نهاية من الحصانة؛ ومملكتها إلى الجنوب والشرق من قرطبة؛ وبين غرناطة وقرطبة نحو خمسة أيام وهي في نهاية النزاهة، ولها قلعة عالية شديدة الامتناع، (ينظر: الحموي,1993م,371/2- 372)..

العدد الخاص – تشرين الأول 2024 / November

وفى نسب أبى إسحاق الإلبيري أنه تجيبي من اليمن من (تُجيب)، وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن ديار تجيب بالأندلس فى سَرَقُسطة ودَرَوْقة وقلعة أيوب؛ يعنى غالبيتهم ومعظم جماعتهم(الأندلسي،1962م, ص431)

ولادته:

لم يرد في كتب التراجم تاريخ دقيق لولادته، غير أن صاحب موسوعة شعراء الأندلس يرجح أنها في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري(الوائلي، عبد الحكيم,2001م, ص21)، وقد ذكر محقق الديوان أن ولادته كانت في عام 375هـ(الداية,1991م, ص 8).

ومن الذين تناولوه بالترجمة – أيضًا – الضبي(الضبي: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (أبو جعفر) مؤرخ: ولد في مدينة بلش بالأندلس، وقد ركب متن الأسفار في شمال إفريقية وطوف في بلادها، له بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. ينظر: كحالة،1993م,١/132)، وقال عنه: " إنه فقيه، قاضٍ، زاهد، عارف، كثير الشعر في ذم الدنيا، مجيد في ذلك"(الضبي،1989م،274/1).

وقال عنه البلوي(البلوي : يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب ، أبو الحجاج البلوي المالقي الأندلسي المالكي، ويقال له ابن الشيخ: عالم اللغة والأدب، مولده ووفاته بمالقة، تولى الخطابة بها، كان أحد الزهاد المشهورين، يقال: إنه بنى بمالقة نحو اثني عشر مسجدًا بيده، ولم تفته غزوة في البر ولا في البحر، له كتاب (ألف باء) مجلدان، سماه الزبيدي: (ألف با للألبا)، وكتاب آخر توسع فيه بما أوجز في (ألف باء) من أخبار وأشعار، سماه (تكميل الأبيات وتتميم الحكايات مما اختصر للألباء في كتاب ألف باء), ينظر: الزركلي,2002م, 247/8 – 248): " كان الأستاذ أبوعبدالله بن سودة شيخي –رحمه الله – يحمل طلبته على حفظه – يعنى شعر الإلبيري – لجودته"(البلوي، (د ت), ص13).

وقال عنه ابن الخطيب(لسان الدين ابن الخطيب: هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، ثم طليطلي، ثم لوشي، ثم غرناطي، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بلسان الدين، وهو من الألقاب المشرقية، وهو وزير، طبيب، أديب، مؤرخ، وفقيه مالكي أندلسي، ولد بمدينة لوشة في 25، رجب، 713هـ, نشأ بغرناطة وتأدب على شيوخها، توفي في ربيع الأول، عام 776هـ, ينظر: الخطيب،1424هـ،2/1): " وأما شعره، فلا تجد حادي جنازة، ولا مذكر مأدبة، ولا واعظًا، إلا وهو مكثر منه"(الخطيب،1424هـ 105/1)، مما يدل على أثر شعره على الأندلسيين، الذين ظلوا يتناقلون أشعاره فى الزهد.

وفاته:

تناقلت الكتب التي ترجمت له، أنه توفى نحو سنة 460هـ، " في أثناء مدة دول الطوائف قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طُلَيطِلَة سنة 478هـ"(الداية,1991م, ص11).

1 .المَبْحَثُ الأوَّل: الرَّبطُ الإضافيُّ في شِعْرِه

يعد الربط بالأداة من وسائل الاتساق النحوي التي تظهر على سطح النص ولها دور كبير في هذا السياق يتمثل في وصل المعاني بعضها ببعض(ينظر: ابو زنيد,2010م،ص 132)وهذه العلاقة الربطية– أي الربط بالأداة تختلف في طبيعتها عن علاقات الربط الأخرى (الإحالة, الاستبدال, الحذف) إذ أنها ليست علاقة إحالية(ينظر: شبل, 2007م، ص110) ولا استبدالية ولا حذفية إنما يتركز عملها على الجانب الوصلي بين معاني النص، وعلَى ذلكَ سأقفُ مفصَّلًا في بعضِ النّماذجِ الّتي سَنخضِعُها للتّحليلِ مِن دِيوانِ الإلبيريِّ، عَلى وفقِ مَا سَنراهُ في الآتِي:

ويُعبّر عن هذا القسم من الربط بالأدوات (الواو, الفاء, أم, أو) فيتم الربط بين الجمل بوساطتها عبر إضافة معنىً جديدٍ, فتضيف كل جملة لاحقة الى سابقتها عنصراً إخبارياً جديداً(ينظر: شبل, 2007م، ص 162)، وهذا ما أطلق عليه الدكتور تمام حسان بالربط الجمعي منعا للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية(ينظر: دي بوجراند,1998م، ص35, ورمضان,2006م، ص23).

وقد عرفه كل من هاليداي ورقية حسن بأنه "يطلق على الروابط التي تضيف معنى اللاحق إلى السابق(227 ,*Cohesion in English*) "،وهو التعريف نفسه الذي أطلقه روبرت دي بوجراند، مع الأخذ في الاعتبار أنه سماه ربط مطلق الجمع وربط التخيير، وذكر أنه "هو الذي يربط بين صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما، إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهين(دي بوجراند,1998م، ص 346)"، وتعددت وسائل الربط الإضافي في ثنايا الديوان، فجاء الربط الإضافي موسومًا بالواو، و(أو)، و(أم). وقد أضفى الربط الإضافي بتعدد وسائله نوعًا من التماسك النصي والتلاحم بين بنيات النص. وقد تعدد دور الربط الإضافي داخل شعره؛ فقد قام بصنع التماسك بين مكونات الجملة الواحدة (الكلمات)، وبين الجمل المتجاورة، والجمل المتباعدة، وقد ساعدت مرونة الربط الإضافي من تأدية وظيفته عبر الديوان في الربط والتلاحم.

فاستخدام (الواو) في ذلك، فيقول من الوافر(الداية, محمد رضوان,1991م, ص25):

أبا بكرٍ دَعَوتُكَ لَو أَجَبتا   إِلى ما فيهِ حَظُّكَ إِن عَقَلتا
إِلى عِلمٍ تَكونُ بِهِ إِماماً   مُطاعاً إِن نَهَيتَ وَإِن أَمَرتا

وَتَجلو ما بِعَينِكَ مِن عَشاها   وَتَهديكَ السَبيلَ إِذا ضَلَلتا
وَتَحمِلُ مِنهُ في ناديكَ تاجاً   وَيَكسوكَ الجَمالَ إِذا اِغتَرَبتا
يَنالُكَ نَفعُهُ ما دُمتَ حَيّاً   وَيَبقى ذُخرُهُ لَكَ إِن ذَهَبتا
هُوَ العَضبُ المُهَنَّدُ لَيسَ يَنبو   تُصيبُ بِهِ مَقاتِلَ إِن ضَرَبتا
وَكَنزاً لا تَخافُ عَلَيهِ لِصّاً   خَفيفَ الحَملِ يوجَدُ حَيثُ كُنتا

هُنا حيثُ يحملُ الشاعرُ لِواءَ قضيةٍ مِن القضايَا الّتي طالمَا شَغلَتْ أذهانَ الشُعراءِ في مُختلفِ الأعصرِ، يدعو مُخاطبَهُ أبَا بكرٍ إلى التزامِ التعلُّمِ؛ لِمَا يُضفِيه على صَاحبِه مِن صِبغةِ الوقارِ والقوّةِ، ويُعزّزُ مِن دوافعِ احتفاءِ النّاسِ به في كلِّ منزلٍ يحلُّ بِهِ، علَى أنّ التّأطيرَ لعلاقةِ بعضِ الجُمَلِ المُنتخبَةِ في هذا النّصِّ كَانَ يلزمُه توظيفَ بعضٍ مَا لا بُدَّ منهُ مِن أدواتٍ تربطُ بينَ هذه الجُمَلِ وبَعضِهَا.

ومبيناً قدرته على جعل النص يتفاعل مع بعضه البعض جاعلاً بنيات النص المتناثرة تكاد تكون بنية واحدة بما تحققه أداة الربط (الواو) من مطلق الجمع(ينظر: ابن عقيل,1980م , 103/3), يقول الجرجاني:" إنا نرى أمراً آخر نحصل معه على معنى الجمع"(الجرجاني,1992م, ص 224) وذلك انها لا تجيء حتى يكون المعنى في جملة لفقاً لمعنى في الأُخرى ومُضاماً له وبها يزداد معنى الجمع قوةً وظهوراً. (ينظر: الجرجاني,1992م, ص225-226).

ولِأنَّ الربطَ مِن دواعِي فهمِ النصِّ، ودوافعِ انسجامِ بعضِ رَكائزِ بِنائِهِ معَ بعضِهَا، يأتِي سَعيُ الإلبيريّ هُنا لانتقاءِ الأنسبِ مِن تلكَ الروابطِ لتُشاكلَ المعنَى المرجوَّ مِن الخِطابِ، وانطلاقًا مِن هذه الغايةِ نَراهُ يسبكُ بينَ جُملَتي الشّرطِ، مِن قولِهِ: "مُطاعًا إنْ نُهيتَ، وَإنْ أَمرْتَ"، لتحلَّ الواوُ العاطفةُ بينَ هاتيْنِ الجُملَتينِ مُتفِقتي المعنَى والدلالةِ محلَّ الخيطِ الذي يَنسجُ طرفَي الثَّوبِ، فُتنزِلَ الثّانيةُ مِن الأولَى منزلَ الجُزءِ مِن كُلِهِ.

ومِن هذا السّبكِ، ربطُه بينَ جُملة الصّفةِ مِن قولِهِ: "تَكونُ بِهِ إمَامًا" وهي في محلِّ النعتِ لِقولِهِ: "عِلمًا"، وجُملَةِ: "وَتَجْلُو مَا بِعَيْنِكَ مِن عَشَاهَا"، عَلى أن تكونَ هذه الثّانيةُ عطفًا علَى جُملةِ النعتِ السّالفةِ، أو أن تَكونَ استئنافًا، وهي إذن جُملةٌ جديدةٌ مُستأنفةٌ، وعلَى ذلكَ فَهي معمولةٌ لِمبتدأٍ محذوفٍ مُقدَّرٍ بِ(أنت)، أي: وَأنتَ تجلو ما بَعينِكَ مِن عَشاهَا، وعلَى شَاكلةِ الآنفِ كلُّ ما أوردَهُ مِن جُمَلٍ مَعطوفةٍ بالواوِ في هذا النّصِّ.

وقد استند الشاعر إلى الربط الإضافي -أيضًا- عبر الأداة (أو)، وجاءت في المرتبة الثانية بعد (الواو) من حيث ورودها في الديوان، والأداة (أو) تفيد الربط عن طريق التخيير، فهي تربط بين صورتين أو أكثر من المعلومات، والصورتان تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين، لكن الصدق لا يتناول إلا محتوىً واحدًا(دي بوجراند,1998م، ص 347).

وقد تعددت صور الربط بالأداة (أو)، فقد يأتي بها الشاعر مفردة دون تكرار، وقد يأتي بها مكررة؛ أملًا في إضفاء مزيد من الربط، ولا يختلف من جهة الربط الشكلي وما يؤديه من اتّساق نصيّ عن أدوات الربط الأخرى غير أن هذه الأداة تنماز عن غيرها من الأدوات في أنّ الاختيار يقع على واحد من عناصرها المتعاطفة، إذ "يربط التخيير صورتين أو أكثر من صور المعلومات على سبيل الاختيار"(دي بوجراند,1998م، ص346) ومن صورها المفردة يلمح قوله(الداية,1991م, ص 29):

فَلَيسَت هَذِهِ الدُنيا بِشَيءٍ		تَسوؤُكَ حُقبَةً وَتَسُرُّ وَقتا
وَغايَتُها إِذا فَكَّرت فيها		كَفَيئِكَ أَو كَحُلمِكَ إِن حَلَمتا

فهو هُنا إذ يَلهجُ بِلِسانِ الحُكماءِ، يُحذِّرُ مُخاطبيه مِن تَقلُّبِ هذه الدُّنيا بِأهلِهَا، مُؤكِّدًا عَلَى أنَّها لَا تُمثِّلُ شيئًا لِعاقلٍ، فإنهُ إن تفكَّرَ فيهَا لَا يقِفُ مِنهَا إلّا عَلَى مَا يسوءُ، وأنَّ غايتَهَا – للمُتأمِّلِ – كالفيئِ للمُستفيِ أو كالحُلمِ المُترائي مَنامًا للنّائمِ، وفي سبيلِهِ لَتأكيدِ تمثُّلِهِ للدُّنيا بِهاتينِ الصّفتَينِ، يَأتي بالرّبطِ التّركيبيّ المُنعكسِ عَلَى المعنَى بدلالةٍ استثنائيّةٍ جديدةٍ، فَيُخبِرُ المُخاطبَ بِأنَّ مِن شَأنِ الدنيا معَ أهلِهَا أنّهَا لِتقلُّبِهَا إمَّا أنها كَفيئةِ المُستفيءِ في الظّلّ مِن قيظِ الشّمسِ، أو كحُلمٍ تَراءَى لِصاحبِه مَنامًا.

والمعنَى عَلَى التّخييرِ؛ لِأنَّ الفيءَ مِمّا يَقعُ لليقِظِ المُستفيءِ نَهارًا، والحُلمُ مِمّا يَقعُ – غالبًا – للنّائمِ ليلًا، وبينَهُما مُفارقةٌ ضديّةٌ لا يَنتظمُهما كلامٌ واحدٌ إلّا بِاعتبارِ المُناقضةِ والضديّةِ الحقيقيّةِ، وهذا أبرزُ دوافعِ اجتباءِ الإلبيريِّ لـ(أو) العاطفةِ التّخييريّةِ عَلى الواوِ، فالواوُ لمُطلَقِ الجمعِ، وهذا لا يسوغُ معَ هذين الضديّنِ، و(أو) لِإفادةِ التخييرِ، وهو الأنسبُ في الربطِ بينَ عُنصُرَي التّضادّ القَائمين في الخطابِ مقامًا مُتضادًّا.

وقوله(الداية,1991م, ص37):

إِذا أَنا لَم أَنُح نَفسي وَأَبكي		عَلى حوبي بِتَهتانٍ سَكوبِ
فَمَن هَذا الَّذي بَعدي سَيَبكي		عَلَيها مِن بَعيدٍ أَو قَريبِ

وهُنا يُبرزُ الشّاعرُ أثرَ تجربتِه الوجدانيّةِ، في نَعيهِ عَلَى نَفسهِ وتحسُّرِه عَلَى مَا فاتَهَا من حَظِّها في الطّاعاتِ، وأثَّرَ فيهَا من الحَوباتِ الّتي حملتْهُ علَى البُكاءِ بدمعِه التّهتانِ شديدِ السّيلانِ؛ مؤكِّدًا عَلى إدراكِه لِأنَّ أحدًا قريبًا كانَ أو بَعيدًا لَن يُكلِّفَ نفسَهُ النّدمَ عليهِ ولا التحسُّرَ عَلى مَا آلَ إليهِ حالُه.

فوسَّطَ الحرفَ العاطفَ (أو) بينَ (بعيدٍ)، و(قَرِيبٍ) إمَّا لِإفادةِ معنَى التّخييرِ، عَلى أن يَكونَ المعنَى: لم يَبْكِني القَريبُ، فكيفَ إذنْ بالبعيدِ؟، وَإمَّا عَلَى الجَمعِ والضّمِّ، فَتكونُ بذلِكَ عاملةً عملَ الـ(واوِ) العاطفةِ، وَالمعنَى حينئذٍ: (أنَا أَوْلَى بِبُكاءِ نَفسِي، إذا لَم يَبكِني البعيدُ ولا القريبُ)، وهو الأقربُ إلَى المعنَى المُرادِ مِن الخِطابِ، وبِهذه الأداةُ يتحقّقُ التّماسُكُ في صُورتِه الظّاهرةِ.

وقد حقَّق الشّاعرُ بِهذه الرّابطةِ بينَ البعِيدِ والقريبِ، بالحرفِ العاطفِ (أو) الغايةَ الدلاليّةَ المَنشودةَ مِن النصِّ، ليسَ حصرًا في السّبكِ والتّماسكِ النصيّ، بَل كذلكَ فيمَا يَعودُ بِهِ هذا الحرفُ عَلى المعنَى مِن إفادةِ الإغراقِ في الحسرةِ، مَعَ تخلُّفِ النّاسِ عَن أن يُلقِيَ لهُ أحدٌ مِنهُم بَالًا، وذلكَ أدقُّ في مقامِ التّعبيرِ عن شِدّةِ الحّسرةِ والانكسارِ.

ومن أدوات الربط التي تفيد التغيير (أم) (ينظر: شبل,2007م، ص 162, والداوودي,2010م، ص 91), فهي تعادل بين العناصر اللغوية التي تقع في سياقها, فتقوم بوظيفتين في آن واحد وظيفية ربطية بين عناصرها ووظيفة تغييرية وهذا ما يظهر في قول الشاعر (الداوودي,2010م، ص 63):

وَما يَعرِفُ الإنسانُ أَينَ وَفاتُهُ أَفي البَرِّ أَم في البَحرِ أَم بِفَلاةِ

وفي إطارِ النُّصحِ والتّوجيهِ، يُرشِدُ الإلبيريُّ إلَى أنَّ الإنسانَ مُسيَّرٌ لا خيرةَ لهُ في مَكانِ مَوتِهِ وَلا في زمانِهِ، فيُجهِّلُ – ضِمنًا – مَن عساهُ يجزمُ بموتِ في زَمانٍ أو مكانٍ مُحدَدينِ، وفي إطارِ تنويعِه مِن الألفاظِ الّتي تركَّبَ مِنهَا مَعنًى تامٍ لإفادةِ دلالةٍ وَاحدةٍ، تَجمعُ تحتَهَا عددًا مِن عناصرِ التّكوينِ التّركيبيّ، يَسُوقُ مَا يمزجُ بينَ هذا العناصرِ في مُكوّنٍ واحدٍ أيضًا؛ لتتّحدَ الدلالةُ وتتوحّدَ المفهوميّةُ.

وهذه الأداة لها بُعدٌ جمالي ودلالي يتمثل في كونها تجعل المتلقي على اتصال وارتباط مع النص ومستدعياً المرتكزات المعرفية الذهنية وبذلك يكون معيداً لإنتاج النص بما يتساوق مع مقاصد الشاعر أو الباث فهي –الأداة– لا تقف عند المعنى التخييري أو الدور الربطي فقط.

ومِن بَابِ التّنويعِ فِي استعمالِ الأدواتِ العَاطفةِ يَأتِي الإلبيريُّ هُنا في هذا البيتِ بِمَا يَقطعُ الطّريقَ عَلى المُتلقِّي فِي الظّنِّ بِأنّهُ مِمّا يُرادُ بِهِ التّخييرُ أو غيرُه، فَيأتِي بِحرفٍ مِن حروفِ العّطفِ الّتي لَا عَملَ لَهَا إلّا التخييرَ، وهو (أم) جزمًا بِنفي عِلمِ مَن ادّعَى العِلمَ بِمَكانِ أو زمانِ مَوتِهِ، مُخبرًا بِأنّهُ لَا يَعلمُ مَتَى وَلا فِي أيِّ مَكانٍ سَيموتُ، في البرِّ أم في البحرِ، أم في الصّحراءِ.

العدد الخاص – تشرين الأول – 2024 / November

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

العدد الخاص – تشرين الأول – November / 2024

وقد تضمَّنَ هذا الحرفُ – إلَى جانبِ دلالتُه القَاصرةُ عَلَى التّخييرِ – معنَى الإضَرابِ، فَكأنّهُ أضربَ عَن سَابقِهِ مُستأنِفًا بِهِ بِمَا لَحِقَهُ مِن المَعطوفاتِ؛ لإفادةِ نفي العِلمِ عمَّن ادّعاهُ بِمكانِ الموتِ أو زمانِهِ، وهذا مِن لوازمِ حرفِ العطفِ (أم)، فَتجاوبت المُفرداتُ المُتعاطفةُ بِهِ معَ بعضِهَا، فَانتسجَ الكلامُ في مِنوالٍ واحدٍ، وَاتّحدَ مَدلولُه عَلى شَاكلةِ مَا يُريدُه الإلبيريُّ، وذلك أبلغُ غاياتِ التّماسكِ الّتي إليهَا يَجمحُ المُتكلّمِ حينَ يُوظِّفُ أداةً ك(أم) في الرّبطِ بينَ المُفرداتِ وبعضِهَا في نَسَقٍ خِطابيٍّ وَاحدٍ، كي لا يُوقِعَ بينَ هذي المفرداتِ وبعضِهَا قطيعةً، تؤدِّي إلَى تَفرُّقِ الدلالةِ.

2 .المَبْحَثُ الثَّاني: الرَّبطُ العكسيُّ :

يطلق الربط العكسي على الوسيلة التي يقام بها علاقة تعارض بين صورتين من صور المعلومات، فهو "يربط على سبيل السلب صورتين في صور المعلومات بينهما علاقة التعارض، إذ تكونان في بيئتهما متحدتين أو متشابهتين, أو أن ذلك يكون بتناولهما لموضوعات بينهما علاقة؛ لكن من خلال تجمع غير متوقع التنشيط الموسع وقد يكون كل من الصورتين صادقًا بالنسبة لعالم النص، ولكن تعلّق كل منها بالآخر غير واضح(دي بوجراند,1998م ص 346، 347)".

وهناك من أطلق على هذا النوع من الربط ربط النقيضين، فهو يربط بين شيئين لهما المكانة نفسها، لكنهما يبدوان متدافعين أو غير منسقين في عالم النص، فالعلاقة التي تجمع بينهما علاقة تعارض(أبو غزالة وأحمد،1999م ، ص 107).

ويعد الربط العكسي من وسائل الربط التي اعتمد عليها الشاعر في ديوانه؛ استنادًا لقدرتها النصية على السبك النصي، وتدعيمًا لفكرته في الربط بين المعلومات ذات العلاقات المتعارضة، فقد استخدم الأداة (لكن) (الداية,1991م، ص 29) بكثرة، التي جاءت في المنزلة الأولى من حيث الورود، في ستة عشر موضعًا، تلتها (لا) (الداية,1991م, ص 43) في أربعة مواضع، ثم (بل) (الداية,1991م, ص 93) في ثلاثة مواضع، واستخدم (بخلاف) (الداية,1991م, ص 39)في موضع، وقد جاءت كل هذه الأدوات صانعة للتعانق اللغوي داخل بنية النص. يمكن تتبع هذا الدور من خلال قوله(الداية,1991م، ص 32):

وَلَو وافَيتَ رَبَّكَ دونَ ذَنبٍ   وَناقَشَكَ الحِسابَ إِذاً هَلَكتا
وَلَم يَظلُمكَ في عَمَلٍ وَلَكِن   عَسيرٌ أَن تَقومَ بِما حَمَلتا

ففي إطارِ تحديدِ الشّاعرِ لِمشهدٍ مِن مشاهدِ الحسابِ يومَ القِيامةِ، وَمدَى مَا يُلاقيهِ الإنسانُ مِن هولِ هذ الموقفِ، يُقدّمُ بينَ يدَي الفِكرةِ مَا يُلوِّحُ بالصّلَةِ بينَ السّلبِ المُعوَّلِ في صِياغةِ المعنَى مِن قولِهِ: "وَلَمْ يَظْلِمْكَ فِي عَمَلٍ" وَالإيجابِ المَنوطِ بِهِ عَكسُ القضيّةِ مِن قولِهِ: "وَلَكِن عَسيرٌ أَن تَقُومَ ..."، وهُما مِن الأضدادِ الّتي لَا تَجتمِعُ فِي كلامٍ واحدٍ؛ لِمَا بينَ السّلبِ والإيجابِ مِن التّناقضِ الظّاهرِ.

غيرَ أنَّ مُسوِّغَ اجتماعِهِما في هذا النّصِّ عَودُ الضّميرِ فِي الجُملةِ المنفيّةِ بِـ(لم) عَلَى اللهِ تَعالَى، إذ يَستحيلُ عليهِ سُبحانَهُ الظُّلمُ، وعودُ الضّميرِ الجُملةِ المُثبتةِ عَلَى المُخاطبِ، وهو مِمّن يُتوقَّعُ مِنهُ الظُّلمُ لِنفسِهِ، ومِن ثمَّ كانَ احتمالُه يومَ الحِسابِ لِظلمِه لِنفسِهِ شيئًا عسيرًا؛ لِأنّه – وإن لّم يُذنب – فإنَّ فيما يُسرُّه أو لَا يُحيطُ بِعلمِه ذنبٌ مخفيٌّ قد يُشدِّدُ عليهِ النُّهوضَ في الحِسابِ، فكانَ لِهذا الجمعِ بينَ السّالبِ والمُوجبِ مُسَوِّغًا تَركيبيًّا، يَعكسُ أثرَ النسيجِ الدّلاليّ عَلى النصِّ في صُورةٍ غيرِ مُطَّردةٍ، بل هي علَى نحوٍ عكسيٍّ.

وقد استخدم الشاعر – أيضًا– الأداة (بل)، وهى من أدوات الربط العكسي. يمكن توضيح هذه الوظيفة لها من خلال قولِهِ(الداية,1991م، ص 112):

وَفرّق عِداهُم وَخُذ مالَهُم فَأَنتَ أَحَقُّ بِما يَجمَعون
وَلا تَحسِبَن قَتلَهُم غَدرَةً بَل الغَدرُ في تَركِهِم يَعبَثون

فَوصلَ المعنَى بِمَا يُوحِي بِعكسِ مَا يُريدُ بِتوظيفِ الأداةِ الّتي إن وقعتْ بينَ تركيبيَنِ دلّتْ عَلى هذه المُناقضةِ، وهِي (بَل)، وَمعلومٌ أنّ لِـ(بل) مِن العملِ مَا يَعكسُ قضيَّةَ الكلامِ، ويُعطِي المُخاطبَ بِهَا انطباعًا عَن رغبةِ المُتكلّمِ في الإضرابِ عَن كلامِه الأوّلِ؛ لِتقريرِ فكرةٍ أو قضيَّةٍ جزئيَّةٍ مُغايرةٍ لِمَا قَبلَ (بَل)، وهذا مَا فعلَهُ الشّاعرُ حينَ وصلَ بينَ الفعلِ المُضارعِ المنفيِّ بِـ(لا) مِن قولِهِ: "وَلَا تَحسَبَنَّ قَتلَهُم غَدْرَةً" نَافيًا بِذلكَ عَمّن تَعرَّضَ لِذكرِهِ فِي هذا النصِّ بِالتّحريضِ عَلى قتلِ مَن حرَّضَه عَلى قَتلِهِم، وَبينَ المُضرَبِ عَنهُ مِمّا أوقعَه بعدَ (بل) مِن قولِهِ: "بَلِ الغَدْرُ فِي تَركِهِم يَعبَثُونَ".

ولِذلكَ حدثتِ المُغايرةُ بينَ إعرابَي مَا قبلَ (بل) ومَا بعدَه، فمَا بعدَهُ في حُكمِ المُستأنفِ، فهو كالجُملةِ الجديدةِ، ومِن هُنا عَرضَ لـ(الغَدرُ) الرّفعُ بِالابتداءِ بعدَ (بل)، والقِياسُ قاطعٌ معَ العطفِ بِهَا أن تكونَ كلمةُ (الغَدرُ) منصوبةً عطفًا عَلى كلمةِ (غَدرَةً)، ولكن لِتغايرُ القضيّتَينِ، نَفَى الشّاعرُ أمرًا مُحدَّدًا مِن وجهٍ، ثمَّ عادَ لإثباتِه مِن وجهٍ آخرَ، وذلكَ مدعاةُ التّناسجِ النصيّ والتّعانقِ الدلاليّ بينَ قضيتينِ مُتعاكستَينِ في أثرِهما النّحويّ، ولكنّهما مُتفقتانِ مِن حيثُ الإجراءُ الدلاليُّ.

أضف إلى ذلك قدرتها على الاختزال اللغويّ الذي يصنع نوعًا من الإيجاز يَعْبُر به الشاعر على الحلقات اللغوية المفرغة إلى متلقيه في صورة مباشرة دون خلل أو اجتزاء للنص؛ مما أسهم في تعانق أفكاره، وترابط بنيته اللغوية.

وإضافة إلى مجيء أدوات الربط العكسي متفرقات في ثنايا الديوان؛ تأكيدًا للربط بين بنيات لغوية جزئية – نجد الشاعر أمام زخم المعلومات المتعاكسة يلجأ لشحن بنيته النصية بالعديد من أدوات الربط العكسي جملة واحدة؛ إبرازًا لفكرته وإيمانًا بقدرتها على ربط أواصر بنيته النصية. يمكن تتبع ذلك عبر قوله (الداية,1991م, ص 93):

وَلَو أَنَّني أَدعو الكَلامَ أَجابَني ... كَإِجابَةِ المَأسورِ دَعوَةَ آسِرِ
لَكِن رَأَيتُ نَبِيَّنا قَد عابَهُ ... مِن كُلِّ ثَرثارٍ وَأَشدَقَ شاعِرِ
فَصَمَتُّ إِلّا عَن تُقىً وَلَرُبَّما ... قَذَفَت بِحارُ قَريحَتي بِجَواهِرِ
ما اِستَحسَنوا طولَ الخَطابَةِ بَل رَأَوا ... تَقصيرَها مَهما اِرتَقوا بِمَنابِرِ
وَلَمّا رَأَوا سَردَ الكَلامِ بِسائِغٍ ... إِلّا لِعَبدٍ قارِئٍ أَو ذاكِرِ
فَالعَيُّ في الإِكثارِ لا في مَنطِقٍ ... يُهدي إِلى الأَلبابِ نَفثَةَ ساحِرِ

ذلكَ أنّهُ – كَما يَبدُو مِن ظَواهِرِ التّوظيفاتِ اللُغويّةِ والسَياقيّةِ فِي هذا الخِطابِ – يَمتدحُ الكلامَ في غَيرِ عيٍّ وَلا إكثارٍ، وَيعيبُ عَلَى المُتشدّقينَ المُتحاذِقينَ كثرةَ كلامِهِم وانصبابِهِ في غَيرِ وَادِيهِ، وطلَبًا لِهذهِ الغايةِ يُشدِّدُ في تَعزيزِ مَضمونِ خِطابِهِ بتعديدِ الرّوابطِ العكسيّةِ الّتي تَرأبُ صدوعَ التّراكيبِ المُتناثرةِ في خِطابِهِ، فَأتَى عَلَى جُملةِ الخَطابِ بمَا يَطلبُ مَا بعدَهُ مَا قبلَهُ مِن تلكَ الأدواتِ، فَوظَّفَ (لكن) الاستدراكيّةَ مرَّةً، و(بل) الإضرابيَّةَ أُخرَى.

فهو إذ يَمتدحُ نفسَهُ بِقوَّةِ الحُجَّةِ وَالقدرةِ عَلى امتلاكِ نَاصيةِ الكلامِ، يُقيّدُ ذلكَ بِأنَّ المَانعَ لَهُ مِن الإكثارِ مِنهُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَد عابَ المُكثرينَ المُتشدّقينَ المُتفيهقينَ، فَردَّهُ ذلكَ عَن الإكثارِ مِنهُ، ولأنّهُ احتكمَ في الإفادةِ مِن هذا المعنَى إلَى حديثٍ للنبيِ صلى الله عليه وسلم، وَأرادَ في الوقتِ نَفسِهِ أن يُجلّي بِهِ عَن عَدمِ صَوابِ الإكثارِ مِن الكلامِ حتّى مَعَ قُدرتِهِ عليهِ؛ لِأنّهُ مِمّا يُعابُ بِهِ الرّجالُ، لَزِمَهُ أن يَستدرِكَ عَلى المعنَى بِعكسِ قضيَّةِ النظمِ، فَأشارَ إلَى أنَّه مَالِكٌ لِأزِمَّةِ الكلامِ، ولكنّهُ يُحجِمُ عنهُ؛ لِعيبٍ فيمَن يُكثِرُ مِنهُ، فكانَ لِهذا الاستدراكِ بِـ(لكن) أبرزُ التّأثيرِ في الحِيادِ عَن المعنَى الذي هو آخذٌ فيهِ إلَى مَا ينقضُه بِهِ إلّا مَا ليسَ يُعابُ بِه مِن كلامِ التُّقَى والعفَّةِ.

العدد الخاص – تشرين الأول – November / 2024

وتَدعيمًا لِهذه الفِكرةِ يسُوقَ شاهدًا عَلَى كلامِهِ مِن قبيلِ الاحتجاجِ عَلى أنَّ امتلاكَ رِقابَ القولِ مِمّا لَا يُبيحُ لِصاحبِه الإكثارَ في الكَلامِ، فَأكَّدَ على ذلِكَ بأنَّ العربَ لَم يَكونوا لِيبُيحوا التّنفُّلَ في القولِ حتّى لو كانَ صادرًا مِن خطيبٍ مُفوَّهٍ تَشهدُ لهُ المَنابرُ بِذلِكَ، وهُما معنيان يَتظاهرُ فيهَما التّضادُّ، فبينَ انتِشاءِ العربِ بفصيحِ المَقالِ والشّهادةِ لِصاحبِه بالجزالةِ والقُوّةِ، وعدمِ تَقبُّلِهم لطولِهِ حتّى مَعَ فصاحتِه تَناقضٌ، سَعَى الشّاعرُ للتّوفيقِ بينَهما بوصلِهما بحرفِ العَطفِ الإضَرابيِّ (بَل) مُشيرًا إلَى أنَّ رضاءَهم بِالكلامِ لهُ وجهٌ، وعدمَ رِضَائِهِم بِه لَهُ وجهٌ آخرُ.

3 .المَبْحَثُ الثَّالثُ الرَّبطُ السَّببيُّ :-

يقوم هذا الربط على ملاحظة العلاقة السببية بين التراكيب عن طريق الأدوات النصية الملفوظة(ينظر: ابو زنيد,2010م, ص136)، ويشير الربط السببي إلى تلك العلاقة التي تجمع بين صورتين من صور المعلومات بينهما حالة تدرج بمعنى أن تحقق إحداهما يتوقف على حدوث الصورة الأخرى، فهو ربط منطقي بين جملتين أو أكثر، وقد أطلق عليه روبرت دي بوجراند مصطلح "التفريع"(دي بوجراند,1998م, ص347).

ويمكّننا الربط السببي من إدراك العلاقات المنطقية القائمة بين جملتين أو أكثر، ويستخدم أدوات السبب والنتيجة والتعبير عنه، مثل: (لذلك، الفاء، مادام، ولهذا، بناء على هذا، من أجل، لأن، اللام، لكي).

ومن مواضع الفاء السببية في الديوان قوله(دي بوجراند,1998م، ص 32 _ 74):

ونفسَك ذُمَّ لا تَذْمُمْ سِواها
بعيبٍ فهي أجدرُ من ذممتا

وذلِكَ استكمالًا لِمَناطَاتِ الحكمةِ الّتي عَلَّقَ عليهَا الإلبيريُّ كثيرًا مِن مَنظوماتِه أو بَعضًا مِنهَا، وهو هُنا يَربطُ بينَ المذمَّةِ الّتي لَا بدَّ للإنسانِ مِنهَا، تَحقيرًا لِنفسِهِ وتهوينًا لَهَا، كي لَا يَتعاظمَ شأنُه عندَ نفسِه فَيأتيَ مِن المَوبقاتِ مَا يُذمُّ بِه مِن غيرِهِ، وَبينَ مَا يَصدرُ مِنهَا مِن مَعايبِ تَستوجبُ هذا الذَّمَّ والتّوبيخَ، وأنَّ المعنيينَ مُتراتِبانِ وسَّطَ الشّاعرُ بينَهُما مَا يُوجِبُ لَهما الارتباطَ والتّعانقَ، ليبدِيهما في صُورةٍ مُتناسجةٍ مسبوكةٍ، فكانتِ الفَاءُ العاطفةُ المُفيدةُ للسببيَّةِ أحدَ وسائطِهِ إلَى ذلِكَ.

فقولُه: "فَهْيَ أجْدَرُ مَنْ ذَمَمْتَا" بِمنزلةِ الكلامِ المُعلَّقِ عَلَى سببِهِ، حيثُ أنزلَ الإلبيريُّ هذا الشّطرَ، مِن قولِهِ: "وَنَفْسَكَ ذمَّ لَا تَذْمُمْ سِوَاهَا بِعَيبٍ" النّتيجةِ مِن السّبب، وهِيَ مِمّا يُطلَقُ عَليهِ في الدّرسِ اللّسانيّ الحديثِ مَصطلحَ الرّبطِ السّببيّ، لِأنَّ الإطارَ النصيَّ الذي بينَ كِلا الجُملَتَينِ إطارٌ مَبنيٌّ عَلى التّعليقِ السببيّ الذي يَجمعُ تحتَهُ بينَ تَركيبيَنِ أحدُهما لَا يَقومُ بِغيرِ الآخرِ.

وقد كثر هذا النوع من الربط السببي المسبوق بالأمر أو النهى، من ذلك – أيضًا – قوله(دي بوجراند,1998م، ص33):

فَلا تُكذب فَإِنَّ الأَمرَ جِدٌّ
وَلَيسَ كَما اِحتَسَبتَ وَلا ظَنَنتا

أَبا بَكرٍ كَشَفتَ أَقَلَّ عَيبي
وَأَكثَرُهُ وَمُعظَمَهُ سَتَرتا

فَقُل ما شِئتَ فِيَّ مِنَ المَخازي
وَضاعِفها فَإِنَّكَ قَد صَدَقتا

وَمَهما عِبتَني فَلِفَرطِ عِلمي
بِباطِنَتي كَأَنَّكَ قَد مَدَحتا

فَلا تَرضَ المَعايِبَ فَهيَ عارٌ
عَظيمٌ يُورِثُ الإِنسانَ مَقتا

عَلَى أنَّ مِثلَ ذلِكَ مِن التّأطيراتِ التّركيبيّةِ لِعلاقةِ أجزاءِ النصّ الشّعريّ بعضِهَا بِبَعضٍ، بِتوظيفِ الفاءِ السببيَّةِ الجَامعةِ بينَ نَتيجةٍ وَسببِهَا، لَيسَ محصُورًا في أداءِ الإلبيريّ وحدَهُ في هذا الخِطابِ، بَل إنّهُ مِمّا عوَّلَ عليهِ كَثيرٌ مِن شُعراءِ العربيّةِ في شَتَّى عُصورِ الشّعرِ، ودَافِعُهم وَاحدٌ مَع اختلافِ الأغراضِ،

ذلِكَ أنّهُم أرادُوا مَا أرادَهُ الإلبيريُّ مِن إعمالِ هذه العلاقةِ الّتي يَتوخَّى فيهَا الشّاعرُ الجمعَ بينَ فاءِ السببِ والأمرِ أو النّهي، مِن أنَّ ما كَانَ مِن نَهيهِ بقولِهِ:

"فَلَا تَكذِبْ فَإنَّ الأَمرَ جِدٌّ   وَلَيسَ كَمَا احتَسَبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا"

مُرادًا بِهِ تَعليقُ هذا النهيِ عَلى ما هوَ مِن سببِه، فَكَذِبُ المُخاطبِ الذي نَهاهُ الشّاعرُ عنهُ، مُرتبطٌ ارتباطًا دلاليًّا بِجديَّةِ الأمرِ الّتي لَا يَتناسبُ مَعَها الكَذبُ، بَل وقدَ يُعمّقُ مِن أثرِهَا بِالرُّكونِ إلَى الكذب، فَلا يُمكّنُ صَاحبَهُ مِن إتيانِ الأمرِ مِن بَابِهِ؛ لِحيلُولَةِ لكَذبِ بينَهُ وبينَ رؤيتِهِ لَهُ عَلى صُورتِه الّتي تَستدعِي النّظرَ إلَيهِ بِجديَّةٍ، فَكانَت الفَاءُ بعدَ النّهي ألزمَ لِخضوعِ المُتلقّي لِمطلَبِ الإلبيريّ بِعدَمِ الكَذبِ، وَأدعَى إلَى المَزجِ بينَ عُنصُرَي هذا التّركيبِ بِبعضِهما بِعلاقةِ السببيَّةِ.

وعَلَى الطّريقةِ ذاتِهَا يُحيلُ الإلبيريُّ بِفعلِ الأمرِ عَلَى خُصوصيَّةٍ تَعبيريَّةٍ تَحكمُ نسجَ العِبارةِ ومُكوّنَ البناءِ التّركيبيَّ مِن قولِهِ:

فَقُل ما شِئتَ فيَّ مِنَ المَخازي
وَضاعِفها فَإنَّكَ قَد صَدَقتا

غيرَ أنَّهُ تلكَ المرَّةَ عمَدَ إلَى تَوظيفِ الفِعلِ الأمرِ مُتوصِّلًا بِهِ إلَى مَا هُوَ مِن سَببِ حُدوثِهِ، فَقولُهُ: "قُلْ مَا شِئْتَ..."، مُرتّبٌ لِقولِه: "فَإنَّكَ قَد صَدَقْتَا" فَقَد جعلَ الصّدقَ نتيجةً حتميَّةً لِقولِهِ مَا شَاءَ فيهِ مِن المَخازي، فَكانت الفَاءُ وَسيلةً أسهمَت في غَمرِ الإلبيريّ لِآفاقِ النصّ بِما يحكمُ العلاقةَ بينَ القولِ ومقولِه من جانبٍ، والقولِ وما ترتَّبَ عليهِ من جانبٍ آخرَ.

ولعلَّ في قولِ الشَّاعرِ:

وَمَهما عِبتَني فَلِفَرطِ عِلمي
بِباطِنَتي كَأَنَّكَ قَد مَدَحتا

ما يدفعُ إلَى الحُكمِ بِنمطيّةِ الرّبطِ السّببيّ بِالفاءِ، وَلَيسَ في لِساني مَا أُنكِرُ بِهِ ذلِكَ، غيرَ أنَّ مُا يُلمِحُ في هذا البيتِ مِن مظاهرِ التّعالُقِ وَالتّماسُكِ النصيّ المعوَّلِ فيهَا عَلَى تِلكَ الفاءِ، أوَّلًا أنَّهَا واقعةٌ في جَوابِ شَرطٍ جَازمٍ، مِمّا يُؤدّي إلَى لَزومِهَا هذا المعنَى، لِأنَّها لَا تَخلُو مِنهُ في الجزاءِ، وثَانيًا، أنَّهَا استحكامَ الشّرطِ حولَ الفاءِ مُؤدٍّ إلَى القولِ بِعدَمِ صِحَّةِ تَحقُّقِه إلَا مَقرونًا بِالسببِ الذي تَعلّق بِهِ، وهو الجزاءُ.

وعليهِ فَإنَ تلكَ الحالةَ مِن حالاتِ بِنَاءِ المعنَى الجُزئيّ مِن خلالِ رَبطِ الجّزاءِ بِالشّرطِ بالفاءِ الجَزائيّةِ، مُتجرّدٌ مِن أيّ معنًى سياقيٍّ آخرَ قد يَحتملُه النصُّ بدونِ هذه الفاءِ، وذلكَ مِمّا أراهُ يَستدعِي دلالةً واحدةً إلَى جانبِ هذه السببيَّةِ الّتي أدَّت بِهَا الفاءُ وظيفةَ التّأطيرِ بينَ بعضِ تَركيبينَ أحدُهما لَا يقومُ معناهُ بِغيرِ معنَى الآخرِ.

وَقد أجرَى قولَهُ كذلِكَ في قولِه(دي بوجراند,1998م، ص33):

فَلا تَرضَ المَعايِبَ فَهِيَ عارٌ
عَظيمٌ يُورِثُ الإنسانَ مَقتا

المجرَى نفسَهُ، حيثُ ألزمَ الفاءَ بِوصفِهَا واسطةً بينَ معنيينِ مُستوجِبينِ للربطِ بينَهُما، سَبكًا لأحدِهما معَ الآخرِ، لأنّهما مُتعاضدانِ في إطارِ المعنَى الدلاليّ، فَنهيُه عَن الرّضَا بِالمعايبِ مُرتبطٌ بكونِهَا عارًا يَلحقُ بِمَن لَا يَنهَى عنهَا، فجرَّتِ الفاءُ العاطفةُ معنَى السّببيَّةِ إلَى الواقعِ في جوابِ الطّلَبِ مِن قولِهِ: "فَهْيَ عَارٌ"، لِيُلزِمَ المُخاطبَ أمرًا لولا تَعليقُ الطَلبِ بالفاءِ مَا كانَ ليُذعِنَ لهُ، ومِن ثمَّةَ يُمكنُ القولُ بِأنَّ هذه الفَاءِ عمِلَتْ في المعنَى عملَ الحُجَّةِ والبُرهانِ.

ومن أدوات الربط السببي في الديوان – أيضًا – استخدامه " لكي"(دي بوجراند,1998م، ص 46)

وَطُفِ البِلادَ لِكَي تَرى آثارَ مَن قَد كانَ يَملِكُها مِنَ الأَقيالِ

فَأمرُه بَتطوافِ البلادِ هُنا عَلى غيرِ مَا يُوجبُه المعنَى الحرفيُّ للفِعلِ الأمريِّ، فهو صَادرٌ مِنهُ عَلى سبيلِ النُّصحِ والإرشادِ، وَيتبيَّنُ ذلِكَ جليًّا مِن خلالِ النّظرِ إلَى مَساقِ توظيفِ الفعلِ فِي هذا النّصّ، إذ يَستحيلُ عَلى الشّاعرِ أمرَ كلَّ مَن بَلغَهُ خِطابُه، وَيَتمحورُ حولَ فِكرةِ السّفرِ وَما عسَى يُلاقيهِ الإنسانُ فيهِ مِن التدبُّرِ والتأمُّلِ في مُلكِ الهالِكينَ مِن العُظماءِ الذينَ سبقوه.

وِممَّا يُبرزُ حقيقةَ التفافِ الإلبيريِّ حولَ المعنَى مِن أجلِ استغراقِه للصُّورةِ المَجازيّةِ الّتي اَنطوتْ عَليهِ، استعمالُ أحدِ الحروفِ النّاصبةِ للمُضارعِ، والمُفيدةِ للتعليلِ، وهو (كي) فَإنَّ في إيرادِهَا للفعلِ بعدَها مَسبوقًا بِالأمرِ (طُفْ) مُبرزٌ لِعلَّةِ أمرِ الشّاعرِ لمُخاطبِه بِالتّطوافِ فِي البلادِ، ذلِكَ أنّهُ أرادَ الانتفاعَ بِمَا سيقِفُ عليهِ مِن الحوادثِ الّتي لَحِقتْ بِأهلِ تلكَ البلادِ وبِمُلكِهَا ومُلوكِهَا الأقيالِ الذينَ حكموها مِن ذِي قَبلٍ.

عَلى أنَّ مَا يَجبُ الالتفاتُ إليهِ هُنا أنَ الإلبيريَّ لَم يُرد بِتوظيفِه لِحرفِ العلَّةِ النّاصبِ للمُضارعِ (كي) مَعنَى السببيَّةِ، فالفرقُ بينَ السببيَّةِ والتّعليلِ وَاضحٌ، وَلو كَانت لإفادةِ السببيَّةِ لَكانَ التّركيبُ المُوالِي لِـ(كي)

فِي حُكمِ السَببِ الّذي لَا يَجوزُ مَعَه إحداثُ الفعلِ (طُف) بِدونِه، عَلى حِينِ يَأتِي التّعليلُ لِبيانِ مَا أدَّى إلَى مَقالةِ الشّاعرِ، مِن غيرِ تَعليقٍ، وعَلى أيِّ مِن الوجهَينِ عَمِلَتْ (كي) عَملَ الرّابطِ بينَ العلَّةِ ومعلولِهَا، فَكانَ ما بعدَه نتيجةً عمَّ قبلَهَا، وقد تمازجَ التّركيبانِ تَمازجًا ملحوظًا عَلى إثرِ هذه العلاقةِ.

وقوله:

فيستغيثون لكى يُعتَبوا

ألا لَعاً من عَثْرَةِ النار

(دي بوجراند,1998م, ص 102)

وذلِكَ مِن تَمثُّلاتِ مَشهدٍ مِن مَشاهدِ النّارِ، فاستغاثةُ الكافرينَ فيهَا مِن أجلِ طَلَبِ العُتبَى والاعتذارِ، وهيهاتَ هيهاتَ لهم ذلِكَ، فالقضيَةُ ساعتئذٍ حُسمَتْ، ولعلَّ الشّاعرَ أرادَ بِهذا التَمثُّلِ مَعنًى مجازيًّا يُحيلُ به عَلَى صُورةِ أهلِ النّارِ؛ لِتشابهٍ بينَ هؤلاءِ وهؤلاءِ في النّهاياتِ، وقد وَظَّفَ في غَليفِ مُستوى الدلالةِ السببيّ (كي) لِيُعرَفَ بِهَا أنَّ مُكوّنَ الجُملتَينِ مُفضٍ إلَى دَلالةٍ معنويَّةٍ وَاحدةٍ، تربطُ بينَ الشيءِ وَما انبثقَ مِنهُ عَلى سبيلِ التعليلِ، حيثُ إنَّهُ يجعلُ مِن رَغبتِهم في العَتَبِ والاعتذارِ عَلى مَا قدَّمُوه سببًا في الاستصراخِ والاستغاثةِ.

كذلك استخدم (لأن) في ثلاثة مواضع من الديوان، وهي(دي بوجراند,1998م, ص 35):

وَطَوَّلتُ العِتابَ وَزِدتُ فيهِ   لِأَنَّكَ في البَطالَةِ قَد أَطَلتا

وعَلى صُورةِ إلحاقِ السّببِ بِمُسبِبه يُفضِي بِمكنونِ تَجربتِه في الإعلامِ بِأنَّ سَببَ طولَ عِتابِ مُخاطبِه بِهَا البيتِ مرتهنٌ بِطولِ بِطالتِه، عَلى أنَّهُ لَو لَم يَكُن عاطلًا عن العَملِ الذي يَشغلُه عنهُ مَا كانَ لِيَعتِبَ عَليهِ، وذلِكَ مذمَّةٌ ألحقَهَا بِهِ، فَإنَّهُ ينتقصُه بِعتابِهِ عليهِ أوقاتِ تفرُّغِه لهُ، أمَّا وقتَ شُغلِه فَكأنَّما ليسَ بينَهما مَا يُوجِبُ العتابَ.

فَكانَ مِن عملِ (لِأنَّ) فِي هذا البيتِ أن وَضَعَتْ تصوُّرًا عَن حقيقةِ هذه العلاقةِ الّتي مَزَجَتْ بينَ جُزئي الكلامِ: (طُولِ العِتابِ، وطُولِ البِطالَةِ)، إذ لولاهَا لَكانَ المعنَى خارجًا عَلى غيرِ مَا قُصِدَ بِهِ مِن معانِي التّعليلِ الّتي هِيَ مِن مُكمّلاتِ المعنَى ومُتمّماتِ دلالةِ الخِطابِ، وعَمَلُ التّعليلِ في هذا النّصِّ راجعٌ إلَى اللامِ مِن (لِأنَّكَ) لا إلَى (أنَّ) فليسَ مِن عَمَلِ (أنَّ) ذلِكَ، غيرَ أنَّهما لمَّا التحمَتَا صَارَتَا بِمعنًى واحدٍ، معَ إفادةِ تَأكيدِ الدلالةِ المُرادةِ باللامِ التّعليليّةِ.

ومِن ذلِكَ النّوعِ مِن الرّبطِ المُفضِي إلَى تَماسكِ النصّ، وَإنتاجِ مَعنًى جديدٍ فِي إطارِ التّعليلِ، قولُ الإلبيريّ:

وَلَم أَجزَع لِفَقدِ أَخٍ لِأَنّي   رَأَيتُ المَرءَ يُؤتى مِن أَخيهِ
وَأَيأَسَني مِنَ الأَيّامِ أَنّي   رَأَيتُ الوَجهَ يَزهَدُ في الوَجيهِ
فَآثَرتُ البِعادَ عَلى التَّداني   لِأَنّي لَم أَجِد مَن أَصطَفيهِ

وهذا البيتُ مِمّا يُضارِعُ سابقَهُ في إرادَةِ الإلبيريّ الرّبطَ بِأداةِ التّعليلِ (اللام) الدّاخلةِ عَلى (أنَّ) مِن قولِهِ: "لِأَنّي رَأيتُ المَرْأَ يُؤتَى مِنْ أَخيهِ!"، فأحَلَّ هذه الواسطةُ محلًّا ذا تَأثيرٍ فِي تَماسكِ النصّ جُزئيًّا، إذ لَو كَانَ هذا التّماسكُ كُلّيًّا لأحدَثَهُ الشّاعرُ بينَ جُمَلٍ مُتفرّقَةٍ بِأدواتٍ شَتّى، غيرَ أنَّ اللامَ هُنا كَانَت للرّبطِ بينَ جُملَتينِ يَخضعُ معنَى إحداهُما لِمعنَى الأخرَى.

وفِي إبدائِهِ لِمَا انتابَهُ مِن اليَأسِ، يُشكّلُ بأداةِ التّعليلِ المَحذوفةِ (اللام) مِن (أَنّي) مِن عُمومِ قَولِهِ: "وَأيْأَسَنِي مِنَ الأَيّامِ أَنّي..."، حُضورًا دلاليًّا مُعوَّلًا فيهِ عَلى التَّماسكِ الذي أحدثتْهُ اللامُ محذوفةً مِن (أَنّي) والانسجامِ الذي وضَعَ كُلًّا مِن التّركيبَينِ السّابقِ عَلَى (أَنّي) مِن قولِهِ: "وَأيْأَسَنِي" واللّاحقِ بِهَا مِن قولِهِ: "رَأيتُ الوَجْهَ..."، لاشتمالِ يأسِ الإلبيريّ من الأيّامِ عَلَى عِلَّةِ رُؤيتِهِ لزُهدِ الوجه فِي الوجِيهِ.

4 .المَبْحَثُ الرَّابعُ الرَّبطُ الزّمنيُّ :-

الرَّبطُ الزَّمنيُّ هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنياً ويمثلها في الانكليزية لفظ (*Then*) وفي العربية الأدوات" الفاء, ثم, قبل, بعد, منذ, كلما, حين"(الخطابي1991م, ص 23_ 24, ورمضان,2006م, ص23, وحسين,2008م, ص90) وبنية هذا الربط تتكون من إشراك التركيب الثاني مع سابقه وقد يتجاوز الربط فيه المظهر الشكلي للنّص إلى المستوى الجمالي الذي يتكثف به النص نفسه(ينظر : حيال,2011, ص103) وحرف (الفاء) هو أكثر أدوات الربط الزمنى ورودًا في شعره وهو حرف يفيد الترتيب والتعقيب والسرعة، وقد اعتمد عليه الشاعر بصورة كبيرة في ربط أواصر النص الشعري، ويظهر ذلك في قوله (حيال,2011, ص 39):

إِنّي أَظُنُّكِ قَد دُهيتِ بِفُرقَةٍ   مِن مُؤنِسٍ لَكِ فَارتَمَضتِ لِذاكِ

عَلى أنَّ مَا يَنبغِي التنبيهُ عَليهِ فِي ذلِكَ أنَ الزمنيَّةَ المُستفادةَ مِن توظيفِ هذه الأحرفِ، ليستْ لِمُطلَقِ التّعبيرِ عَن الزّمنِ بَل هِيَ لِتقييدِ العربِ في لِسانِهَا الزّمنَ المُعيَّنَ بِهذه الحروفِ قلّةً وكثرةً، وذلِكَ مُستجلًى فِي هذا البيتِ، فَفي تَعبيرِهِ عَن مَدَى مَا لَحِقَ بِتلكَ المُخاطبةِ مِن ارتماضٍ، معيارُه في القياسِ

العدد الخاص – تشرين الأول – November / 2024

أنَّهُ نتيجةٌ سريعةٌ لِفرقةِ مَن تُحبُّ مِمّن كَانوا يُؤنِسُونَهَا، أمَّا دَلالةُ الرّبطِ بينَ الارتماضِ، وَفرقةِ المُؤنسِ فَللفاءِ وَحدَهَا، وَأمَّا الدلالةَ عَلى سُرعةِ مَا حلَّ بِهَا بعدَ هذه الفُرقةِ فَمِنَ عمَلِ الفَاءِ بِمَا التزمَهُ فيهَا العربُ مِن الدلالةِ عَلى السّرعةِ في مُقابلِ (ثُمَّ) الدالَّةِ عَلَى البطءِ.

وقوله (حيال,2011, ص 42):

أَينَ الجَبابرَةُ الأُلى وَرِياشُهُم　　　قَد باشَروا بَعدَ الحَريرِ ثَراكِ
وَلَطالَما رُدّوا بِأَردِيَةِ البَها　　　فَتَعَوَّضوا منها رِداءَ رَداكِ
كانَت وجوهُهُمُ كَأَقمارِ الدُجا　　　فَغَدَت مُسَجّاةً بِثَوبِ دُجاكِ

فَإنَّهُ يَعِظُ نَفسَهُ وَمَن عَسَى يَبلغُه خِطابُه، بِالزُّهدِ والتّخشُّعِ؛ لِأنَّ مَا أصابَ سَابقيهم لا بُدَّ مُصيبُهُم، والفجوةُ الزمنيّةُ بينَ مَا حدثَ للسّابقينَ، وماَ قد يَقعُ لمُخاطبيهِ مِمّا يَتوجَّهُ لَهُم بِالمَوعظةِ مُحدَّدٌ فِي البيتِ الأوّلِ بِالظَّرفِ المَكانيّ المَفتوحِ (بَعدَ)، عَلى أنَّهَا أفادتْ رَبطًا بَينَ مَا أصابَ السّابقينَ وَما سيُصيبُ المُخاطبينَ فِي مُدَّةٍ مَا مِن الزّمنِ، غيرِ مَعلومةِ الأجلِ طولًا أو قِصرًا، وَقد انتظمَ هذا الظّرفُ جُملَتينِ، إحداهُما تَعلَّقَ بِفعلِهَا وَقد سَبقتْهُ، وهِيَ: (قَدْ بَاشَرُوا... ثراكَ)، والأُخرَى بِنَاؤها اسمٌ مُفردٌ أضيفَ إلَى هذا الظّرفِ، وهو (الحَريرِ).

واستخدم الشاعر– أيضًا– من ألفاظ الربط الزمنى (غدًا) في كثير من المواضع، يمكن تتبع ذلك من خلال، قوله:

لا خَيرَ في كَسبِ الحَرامِ وَقَلَّما　　　يُرجى الخَلاصُ لِكاسِبٍ لِحَلالِ
ما إن سَمِعتُ بِعائِلٍ تُكوى غَداً　　　بِالنارِ جَبهَتُهُ عَلى الإِقلالِ

وهو مِمّا يُضارعُ سَائرَ الظّروفِ فِي الرّبطِ بِهَا بَينَ مُتعلَّقِهَا الذي لَا بُدَّ مِن أن يَكونَ فِعلًا أو مَا فِي مَعنَى الفِعلِ، ومُضافٍ إليهِ مَجرورٍ بِهِ، وإنَّما القصدُ مُنعقدٌ عَلَى المجازِ في كلِمَةِ (غَدًا) فليسَ معناهُ غَدًا الذي يَتبعُ يَومَهُ، بَل يَقصدُ بِهِ يَومَ الحِسابِ، فهو الذي يقعُ فيهِ الكيُّ بِالنّارِ لجباهِ الكَاسبينَ مِن الحَرامِ.

فكَانَ لِـ(غَدًا) مِن هذا النّصِ عملًا مُنافيًا لِمَا قد يُعتقَدُ فيهِ في غَيرِ هذا مِن النُّصوصِ، لِاتساعِ الزّمنِ المُرادِ بِهِ عَمَّا هو الحالُ فِيمَا يُرادُ بِهِ مِن معانيهِ الحقيقيَّةِ في اللغة التّقريريَّةِ، وَكانَ الرّبطُ بِهِ بينَ جُملةِ مُتعلّقِهِ: "مَا إن سَمعْتُ بِعائلٍ تُكوَى..."، ومعنَى الجُملَةِ الّتي تَضمَن الظّرفُ (غَدًا) معنَاهَا، فقد توقَّفَ لَديهِ الكيُّ بالنّارِ لِمَن سَوَّلَت لَهُ نفسُه كَسبَ الحرامِ، عَلَى مَا سَيراهُ في يَومِ الحِسابِ مِن العقوبةِ عَلَى ذلِكَ.

وقد يلجأ الشاعر للمقارنة بين الزمنين الحاضر والمستقبل عبر استخدام كلمتي (اليوم) و(غدًا) من أجل توضيح الفرق الكبير بين الزمنين، كما في قوله(حيال,2011, ص 62):

وَما اليَومَ يُمتازُ التَفاضُلُ بَينَهُم   وَلَكِن غَداً يُمتازُ في الدَرَجاتِ

فقد يَبنِي الشُعراءُ مِن الفجوةِ الزّمنيّةِ بينَ المَاضِي وَالحاضرِ علاقةً نصيَّةً تَربطُ بينَ كَلامَينِ ظَاهرُهما التّضادُّ، وَذلِكَ مَا ذهبَ إليهِ الإلبيريّ مِن قولِه الآنِف، فَقدَ عزَّز مِن دَلالةِ امتيازِ الفُضلاءِ في أزمنةٍ تعقبُ أزمنةَ مَعيشتِهم، فقرَنَ بينَ زمنَينِ يَنصُّانِ عَلَى أنَّ حدوثَ ذلِكَ لَهُم مَعَ مَا هُم عَليهِ مِن الفضلِ بينَ أهلِ زَمانِهِم مُستحيلٌ؛ لِعدمِ انتصارِ النّاسِ لِمَن هو خيرٌ مِنهُم عَلى حيَاةِ عَينِهِ، بَل يَنتظرونَ الإفادةَ مِن علمِهِ والشّهادةَ لهُ بالصّلاحِ والفضلِ بعدَ موتِهِ أو بَعدَ افتقادِهِ في المَكانِ الذي هم فيهِ.

وممّا يُظهِرُ إطارَ العلاقةِ بينَ الشّطرِ الأوّلِ مِن هذا البيتِ والشّطرِ الثّانِي مِنهُ، ارتدادُ الظّرفِ (غَدًا) بِمعناهُ الذي تَعلّقَ بِهِ، عَلَى (اليَومَ) مِن الشّطرِ الأوّلِ بِمعنَاهُ الّذي تَعلّق بِهِ، فَإنَّ لِكلٍّ مِن هذينِ الظّرفينِ مدلولٌ يُناقِضُ الآخرَ؛ لِإحالتِه الدلاليّةِ عَلَى مَعنَى الضديَّةِ، وَلكن لَوقوعِهِمَا في معنَى التّنكُّرِ لصاحبِ الفَضلِ بفضلِهِ إلّا بَعدَ حينٍ، جازَ الجمعُ بينَهُما تَحتَ سقفٍ وَاحدٍ، فَأدَّى كُلٌّ مِنهُما دلالتَهُ مُتّصِلًا اتّصالًا مُباشرًا بِدلالةِ صَاحبِهِ.

الخاتمةُ

لقد أسهمت الدراساتُ اللسانيةُ الحديثةُ بِمختلفِ نَظريّاتِها ومُستوياتِ تَحليلِها في التمخُّضِ عَن نتائجَ بحثيَّةٍ مُتقدّمةٍ فِي مَيدانِ البحثِ اللغويّ والأدبيّ والنقديّ، حيثُ أسفرت عن كمٍّ هائلٍ وثروةٍ لغويّةٍ مكنونةٍ تحتَ عباءةِ الدراساتِ النصيّةِ القديمةِ والنمطيّةِ التّقليديةِ، لَم تَكُن لَتظهرَ مُراداتِ المَبدعينَ مِن الشُّعراءِ العربِ في شتَّى أزمنةِ الشّعرِ لولاها، وحيثُ عَرضَ لِي هُنا في هذه الدّراسةِ أن أُسلِّطَ الضّوءَ عَلَى حِفنةٍ مِن نَماذجَ شِعريّةٍ لِأحدِ الشُعراءِ المُبرّزينَ في عَالمِهِ الإبداعيّ، وهو الشّاعرُ العربيُّ الأندلسيّ أبو إسحاقَ الإلبيريُّ، تقرَّرَ في نَفسِي أن أعملَ نَظريَّةَ الرّبطِ اللُّغويّةِ في الدّرسِ اللسانيّ الحدِيث؛ لِاستنباطِ مذهبِ الإلبيريّ الشِّعريّ، وَمَدَى مَا أحاطَ بجُملةِ نصوصِه المُختارةِ للتّحليلِ وفاقًا لِهذِه النّظريّةِ، مِن مَعاملاتِ تعزيزِ الرّبطِ بينَ أجزائِهَا، والدّعاماتِ الّتي ارتكزَ عَليهَا في صَياغتِها، وَمدَى مَا حقّقهُ فيهَا مِن تَناسجٍ وَالتحامٍ أدّى إلَى جعْلِ هذه النُّصوصِ وحدةً واحدةً، تتكاملُ فيهَا الأجزاءُ وتتضامَنُ فيهَا الوحداتُ البنائيَّةُ الكُبرَى والصُّغرَى؛ مِن أجلِ تَحقُّقِ الوحدةِ والبُعدِ عَن التّشظّي والتّفلُّتِ.

فَخلصتُ مِن ذلِكَ إلَى عددٍ مِن النتائجِ الّتي أرصدُها هُنا رَصدًا تَفصيليًّا، يُؤذِنُ بِحقيقةِ انسجامِ شِعرِهِ وَتكاملِ جُمَلِه وَموادِّ بِنائِهِ، عَلَى نحوِ مَا يَلِي:

1. لَم يَكُن النّشاطُ اللغويُّ الذي اعتمدَ عليهِ الإلبيريُّ بِوصفِهِ عُنصرًا أصيلًا مِن عناصرِ الرّبطِ بينَ مكوّناتِ نصّه وبعضِهَا، بِالّذي يُحيلُنا عَلى الحُكمِ بانفرادِ الإلبيريّ فيهِ، أو بَاختصاصِه بِهِ، بَل قد شَاكَلَ أغلبَ شُعراءِ العربيّةِ في التّعويلِ عَلى هذه الرّوابطِ اللُّغويّةِ.
2. إعمالُ الإلبيريّ لِهذهِ الرّوابطِ النّصيّةِ في مُجمَلِ مَا وَقفتُ عليهِ مِن شِعرِهِ للتحليلِ عَلى وفقِ مَا تقضِي المُمارساتُ اللُّغويَّةُ فِي الرّبطِ بينَ أجزاءِ النُّصوصِ وَبَعضِهَا، غيرُ مَختزلٍ في جَانبِ الربطِ والتّماسكِ النصيّ – الذي هو نَوعٌ مِن أنواعِ الإحالاتِ النّحويّةِ التّنظيميّةِ – بَل تَجاوزَ هذا إلَى استغراقِ الجانبِ الدّلاليّ بِهذهِ الرّوابطِ إلَى جَانبِ الرّبطِ النصيّ بِهَا.
3. جاءت النُّصوصُ المُختارةُ مِن شِعرِ الإلبيريِّ مُعبّرةً شدَّمَا تَعبيرٍ عَن طَريقتِه في انتقاءِ الرّوابطِ اللُّغويّةِ المُؤدّيةِ إلَى تَماسكِ النصّ وَنَسجِ عَناصرِهِ مَعًا وصهرِهَا في تنُّورِ اللُّغةِ، بِمَا لَا يَدعُ لِمُتلقّيهَا شيئًا يَحكمُ مَعُه عَلى هذه النُّصوصِ أو بَعضِهَا بالتفلُّتِ.
4. كَانتِ اختياراتُ الإلبيريّ لِنماذجِ الرّوابطِ اللُّغويّةِ الّتي أطّرَ بِهَا للعلاقةِ بينَ أجزاءِ النصِّ وبعضِهَا؛ لِيَخرُجَ الخطابُ في صورتِه المُتماسكةِ، مُتعدّدةً بِحَسبِ مُقتَضَى السّياقِ، ومَا يَستدعِيهِ مَقامُ التّصويرِ المعتَمِدِ عَلَى تَراكيبَ نحويَّةٍ بِعينِهَا.
5. استقصاءُ الإلبيريّ لِأغلبِ الرّوابطِ النصيّةِ وَاستغراقِهِ لَهَا يُعدُّ بُرهانًا قطعيًّا عَلَى قوّةِ الشّاعرِ وَسَعةِ ثَقافتِه، وقدرتِه عَلى امتلاكِ نَواصِي اللُّغةِ وَموادِّ المُعجمِ الشّعريّ المَعبِّرَةِ عَن غاياتِهِ المُختلفةِ وَأغراضِهِ المُتباينةِ.
6. أنَّ لِهذه الأدواتِ الّتي استعملَهَا الإلبيريُّ في التّأطيرِ لِأجزاءِ النصِّ، سِمةُ الحُضورِ في أغلبِ نُصوصِ ديوانِه، وتتجلّى دلالاتُها مُختلفةً في الأداءِ الوظيفيّ في كلِّ مَرَّةٍ عَن سَابقتِهَا بِحَسَبِ مُرادِه مِن الخِطابِ، مَا جعلَهُ يَأتِي عَلى أكثرِ هذه الرّوابطِ.
7. أنَّ مَا يَعرِضُ لَنَا في قِراءتِنا لِنصوصِهِ محلَّ التّحليلِ، أنَّ الإلبيريَّ نوَّعَ مِن الرّوابطِ النّصيَّةِ؛ طَلَبًا لِلإحالةِ بِهَا عَلى حالةٍ أو دلالةٍ لَا تعرضُ للقارئِ مِن الوهلةِ الأُولَى لِقراءةِ نَصوصِهِ؛ لِحرصِه عَلى إعادةِ تَدويرِ وظائفِ وَعملِ هذه الرّوابطِ بِمَا يحملُ المُتلقّي عَلى الإمعانِ في مَدعاتِهَا.

المصادر

[1] ابن الأبار، أبو عبدالله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. (1995م). التكملة لكتاب الصلة. (د.ط)

.تحقيق: د. عبد السلام الهراس. دار الفكر. بيروت– لبنان.

[2] ابن الخطيب، لسان الدين (ت776هـ). 1424هـ. الإحاطة في أخبار غرناطة. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان.

[3] ابن عقيل, بهاء الدين عبد الله, (1980م). شرح على ألفية بن مالك. ط10. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار التراث. القاهرة– مصر.

[4] ابو زنيد, عثمان. (2010م). نحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية. ط1. عالم الكتب الحديث., اربد– الاردن.

[5] أبو غزالة إلهام وأحمد علي خليل,(1999م). مدخل إلى عالم النص, ط2, الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[6] الأندلسي، ابن حزم. (1962م). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار المعارف– مصر.

[7] البلوي، أبو الحجاج يوسف بن محمد(ت604هـ). (د.ت). ألف باء. (د.ط). تصحيح : مصطفى وهبي، المطبعة الوهبية, مصر.

[8] الجرجاني, أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد, (1992م), دلائل الإعجاز في علم المعاني,ط3, مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.

[9] حسين, محمود سليمان, 2008م. أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف, رسالة ماجستير, جامعة مؤتة, الاردن.

[10] الحموي, شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت626هـ). (1993م). معجم البلدان. (د.ط). دار صادر. بيروت– لبنان.

[11] الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1975م). الروض المعطار في خير الأقطار. ط1. تحقيق: إحسان عباس. مكتبة لبنان– لبنان.

[12] حيال, احمد حسين. (2011م). "السبك النصي في القرآن دراسة تطبيقية في سورة الأنعام". كلية الآداب, الجامعة المستنصرية. بغداد– العراق.

[13] الخطابي محمد,(1991م). لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب),ط1, المركز الثقافي العربي_ بيروت.

[14] الداوودي, زاهر بن مرهون. (2010م). الترابط النصي بين الشعر والنثر. دار جرير للنشر

والتوزيع. الأردن.

[15] الداية, محمد رضوان. (1991م). ديوان أبي إسحاق الإلبيري. ط1. دار الفكر بيروت– لبنان.

[16] دي بوجراند, روبرت. (1998). النص والخطاب والاجراء. ط1. ترجمة: د. تمام حسان. عالم الكتب. القاهرة– مصر.

[17] رمضان, نادية. (2006م). "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجا)". مجلة علوم اللغة , مج9, العدد4.

[18] الزركلي, خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس,(٢٠٠٢م), الأعلام, ط15, دار العلم للملايين.

[19] شبل, عزة. (2007م). علم لغة النص النظرية والتطبيق ط1. مكتبة الآداب. القاهرة–مصر.

[20] الضبى، ابن عميرة (ت 599هـ). (1989). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. ط1. تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني, بيروت– لبنان.

[21] كحالة، عمر رضا. (1993م). معجم المؤلفين. ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت–لبنان.

[22] الوائلي، عبد الحكيم. (2001م). موسوعة شعراء الأندلس. ط1. دار اسامة للنشر والتوزيع.

[23] Choesion in English, Hallidy and Ruqaiya Hasan, Longman, London, 1979.